تجار الدين

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله -صلى الله عليه وسلم- وبعد

فإن أعظم تجارة هي التجارة مع الله تعالى فهي التجارة التي لا تكسد وجزاؤها لا ينفد وثمرتها لا تفسد والذي أمر بها وعده لا يخلف

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ (10) تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ (11)} الصف

التجارة هي معاوضة الشيء بالشيء والتاجر في الدنيا يصبر على محن العمل ليتكسب المال بنسبة معقولة وقد يعتريها الخسارة والكساد أما مع الله فلا خسران على صاحبها أبدًا

وهناك فريق من الناس تاجروا مع الله تجارة عكسية فاستبدلوا الإيمان بالكفر والهداية بالضلالة وما أكثر هؤلاء في البلاد لا كثر الله منهم وهم المنافقون في هذه الأمة هؤلاء حري أن يقال عليهم تجار الدين فليسوا أفردا قليلين بل والله كثير

قال الْحَسَنَ الْبَصْرِيَّ: **"لَوْلَا الْمُنَافِقُونَ لَاسْتَوْحَشْتُمْ فِي الطُّرُقِ"**

وقال مَالِكَ بْنُ دِينَار: **"أُقْسِمُ لَوْ نَبَتَ لِلْمُنَافِقِينَ أَذْنَابٌ مَا وَجَدَ الْمُؤْمِنُونَ أَرْضًا يَمْشُونَ عَلَيْهَا"** (1)

وقد فضحهم الله في كتابه وبين عوراتهم فقال عز من قائل :

{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ (8) يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ (9) فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْذِبُونَ (10) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَى فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)}البقرة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية :

كل علم دين لَا يطْلب من الْقُرْآن فَهُوَ ضلال كفاسد كَلَام الفلاسفة والمتكلمة والمتصوفة والمتفقهة وكل عَاقل يتْرك كتاب الله مرِيدًا للعلو فِي الأرض وَالْفساد فان الله يقصمه فالضال لم يحصل لَهُ

(1) الإبانة لابن بطة (935-937).

الْمَطْلُوب بل يعذب بِالْعَمَلِ الَّذِي لَا فَائِدَة فِيهِ والجبار حصل لَذَّة فقصمه الله عَلَيْهَا فَهَذَا عذب بِإِزَاءِ لذاته الَّتِي طلبَهَا بِالْبَاطِلِ وَذَلِكَ يعذب بسعيه الْبَاطِل الَّذِي لم يفده.[2]

وفي أيامنا هذه تطاول المنافقون على أهل الإيمان فاتهموا كل قائم بدين الله متاجرًا بالدين ليربح غرضًا من الدنيا .

وأقول :إن هذا الوصف حري أن يوصف به كل متنازل عن الشريعة أو بعضها ومقدمًا أغراض الدنيا على طاعة الله تعالى والذي يتبع هواه بغير هدى من الله والذين يفتون الناس بما يعلمون أنه مخالف لشرع الله إيثارًا منهم الهوى على الشرع والدنيا على الآخرة

قال مَالك بْن أَنَس: قَالَ رَبِيعَةُ الرَّأْي: يَا مَالِكُ مَنِ السَّفَلَةُ؟ قَالَ: قُلْتُ: "مَنْ أَكَلَ بِدِينِهِ" قَالَ: فَمَنْ سَفَلَةُ السَّفَلَةِ؟ قَالَ: "مَنْ أَصْلَحَ دُنْيَا غَيْرِهِ بِفَسَادِ دِينِهِ"

فهؤلاء لا يصلحوا للخلافة في الأرض ولا التمكين في الدنيا ولا الرفعة في الآخرة

عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ، عَنِ النَّبِيِّ –صلى الله عليه وسلم– قَالَ: "بَشِّرْ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِالسَّنَاءِ، وَالنَّصْرِ، وَالتَّمْكِينِ، فَمَنْ عَمِلَ مِنْهُمْ عَمَلَ الْآخِرَةِ لِلدُّنْيَا، لَمْ يَكُنْ لَهُ فِي الْآخِرَةِ نَصِيبٌ "[3]

نسأل الله الإخلاص في القول والعمل

كتبه

أحمد بن سليمان

(2) الاستقامة (1/ 21).

(3) مسند أحمد(21222) وصححه الألباني في صحيح الجامع (2825).